قصص النبيين

الجزء الثالث

تالیف

ابوالحسن علی الحسنی الندوی

مجلس نشریات اسلام
۱-کے-۳ ناظم آباد مینشن ۵ ناظم آباد ۱ ۵ کراچی ۱۸

الحقوق محفوظة للناشر

جملہ حقوق طباعت و اشاعت پاکستان میں
بحق فضل ربی ندوی محفوظ ہیں،
لہٰذا کوئی فرد یا ادارہ ان کتب کو شائع نہ کرے،
ورنہ اس کے خلاف قانونی کارروائی کی جائے گی،

نام کتاب	قصص النبیین (الجزء الثالث)
تالیف	ابوالحسن علی الحسنی الندوی
طباعت	القادر پرنٹنگ پریس کراچی
ضخامت	۱۶۰ صفحات

فون ٦٦٠١٨١

ناشر
فضل ربی ندوی

مجلس نشریاتِ اسلام ۱-کے-۳- ناظم آباد مینشن - ناظم آباد ۱ کراچی ۱۸

بسم الله الرحمن الرحيم

للباحث الداعية الأستاذ سيد قطب

عرفت صاحب هذا الكتيب « السيد أبو الحسن الندوي » . عرفته في شخصه وفي قلمه . فعرفت فيه القلب المسلم والعقل المسلم ، وعرفت فيه الرجل الذي يعيش بالإسلام وللإسلام على فقه جيد للإسلام .

هذه شهادة لله أؤديها ، وأنا أقدم هذه الطبعة من ذلك الكتيب الصغير .

وقصص النبيين للأطفال – على صغر حجمه – عمل جليل يضاف إلى أعمال السيد أبي الحسن وإخوانه الأفاضل في حقل الدعوة الإسلامية . فليس الكبار وحدهم هم الذين يجب أن يبلغ إليهم الإسلام في صورته النقية ، بل إن قلوب الصغار لأحوج إلى هذا الغذاء ، ليشبوا وطعم الإيمان في نفوسهم ، ونوره في قلوبهم ، وبشاشته في أرواحهم ، والقصص هي المادة الأولى التي تتفتح لها تلك القلوب الصغيرة البريئة .

وهذا الكتيب – وإن كان مكتوباً للصغار – إلا أنني أعتقد أن الكثيرين من الكبار في حاجة إلى أن يقرأوه . فالكثيرون لم يتح لهم تعليمهم الذي سيطر عليه الاستعمار وهيمن عليه التبشير ، أن

يعرفوا شيئاً عن قصص القرآن الكريم ، ومراميه العميقة ، وجوّه الإيماني التهذيبي المؤثر ، كما هو معروض في هذا الكتيب .

ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال — بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلوات والسلام — وشاركت في تأليف مجموعة « القصص الديني للأطفال » في مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم . ولكني أشهد في غير مجاملة — أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي بين يدي ، جاء أكمل من هذا كله . وذلك بما احتوى من توجيهات رقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها ، ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة ، ولكنها توحي بحقائق إيمانية ذات خطر ، حين تستقر في قلوب الصغار أو الكبار .

جزى الله السيد أبا الحسن خيراً ، وزاده توفيقاً ، وهدى به الأجيال الناشئة التي تحيط بها العواصف والأعاصير ، وتنتثر في طريقها الأشواك ، وتدلهم من حولها الظلمات ، وتحتاج إلى الهدى والنور والرعاية ، والإخلاص في حياطتها ورعايتها . وعلى الله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – من كنعان إلى مصر

انْتَقَلَ يَعْقُوبُ « عَلَيْهِ السَّلامُ » إلى مِصْرَ وَانْتَقَلَ مَعَهُ أَوْلادُهُ .

انْتَقَلُوا إلى مِصْرَ لأَنَّ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوب « عَلَيْهِمَا السَّلامُ » هُوَ سَيِّدُ مِصْرَ ، يَأْمُرُ وَيَنْهَى فِيهَا .

وَكَانُوا فِي كَنْعَانَ يَرْعَوْنَ الْغَنَمَ وَيَحْلُبُونَ الشَّاةَ وَيَبِيعُونَ الصُّوفَ .

وَعَبِيدُ يُوسُفَ وَخَدَمُهُ يَأْكُلُونَ وَيَنْعَمُونَ فِي مِصْرَ !

فَمَا يَصْنَعُونَ فِي كَنْعَانَ ؟ وَلِمَاذَا لَا يَذْهَبُونَ إِلى مِصْرَ ؟

أَرْسَلَ يُوسُفُ إِلَى يَعْقُوبَ وَأَهْلِهِ وَطَلَبَهُمْ مِنْ كَنْعَان

وَكَانَ يُوسُفُ لَا يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ حَتَّى يَرَى أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ .

وَكَيْفَ يَطِيبُ لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ، وَكَيْفَ يَطِيبُ لَهُ عَيْشٌ وَهُوَ وَحِيدٌ فِي مِصْرَ؟

وَمَاذَا يَصْنَعُ بِالْقُصُورِ وَأَبُوهُ وَإِخْوَتُهُ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ فِي كَنْعَانَ ؟!

وَجَاءَ يَعْقُوبُ وَأَوْلَادُهُ إِلَى مِصْرَ فَاسْتَقْبَلَهُمْ يُوسُفُ وَفَرِحَ بِهِمْ فَرَحاً عَظِيماً .

وَاسْتَقْبَلَتْ مِصْرُ أُسْرَةَ سَيِّدِهَا وَأُسْرَةَ مَلِكِهَا

الْكَرِيم وَفَرِحَتْ بِها فَرحاً عَظِيماً .

وَأَحَبَّ أَهْلُ مِصْرَ هٰذَا الْبَيْتَ الْكَرِيمَ، لِأَنَّهُمْ يُحِبُّونَ يُوسُفَ لِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلى النَّاسِ .

وَلِأَنَّهُمْ رَأَوْا فِي يُوسُفَ أَخاً نَاصِحاً شَفِيقاً، فَرَأَوْا فِي يَعْقُوبَ وَالِداً مَاجِداً كَرِيماً .

وَكَانَ يَعْقُوبُ كَبِيرَ الْبِلَادِ، وَشَيْخَ مِصْرَ، وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ لَهُ كَالْأَبناءِ .

وَطَابَتْ لِيَعْقُوبَ وَأَبْنَائِهِ الْإِقَامَةُ فِي مِصْرَ وَصَارَتْ لَهُمْ وَطَناً .

٢ — بعد يوسف

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يَعْقُوب فَحَزِنَ عَلَيْهِ يُوسُفُ وَحَزِنَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ .

وَدَفَنُوا الشَّيْخَ فِي مِصْرَ وَكَأَنَّهُمْ فَقَدُوا أَبَاهُمْ .

وَبَعْدَ مُدَّةٍ مَاتَ يُوسُفُ أَيْضاً فَكَانَ يَوْماً عَلَى أَهْلِ مِصْرَ شَدِيداً .

وَحَزِنَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ حُزْناً شَدِيداً وَبَكَوا عَلَيْهِ بُكَاءً طَوِيلاً .

وَنَسِيَ النَّاسُ أَحْزَانَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ هٰذَا الْيَوْمِ .

وَدَفَنُوا يُوسُفَ أَيْضاً وَعَزَّى بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَكَانُوا فِي يُوسُفَ سَوَاءً .

كُلُّ صَغِيرٍ فَقَدَ أَبَاهُ وَكُلُّ كَبِيرٍ فَقَدَ أَخَاهُ .

وَمَشَى النَّاسُ إِلَى إِخْوَةِ يُوسُفَ وَأَبْنَائِهِمْ يُعَزُّونَهُمْ .

وَيَقُولُونَ لَهُمْ : أَيُّهَا السَّادَةُ ! لَيْسَتْ خَسَارَتُكُمْ

الْيَوْمَ أَكْبَرَ مِنْ خَسَارَتِنا نَحْنُ .

فَقَدْ فَقَدْنَا فِي دَفِينِ الْيَوْمِ أَخاً شَفِيقاً. وَسَيِّداً رَحِيماً وَمَلِكاً عَادِلاً .

هُوَ الَّذِي أَرَاحَ الْعِبادَ، وَأَزَالَ الظُّلْمَ مِنَ الْبِلادِ .

هُوَ الَّذِي مَنَعَ الْكَبِيرَ يَظْلِمُ الصَّغِيرَ، وَمَنَعَ الْقَوِيَّ يَأْكُلُ الضَّعِيفَ .

هُوَ الَّذِي أَغاثَ المظْلُومَ وَأَجارَ الْخَائِفَ وَأَطْعَمَ الْجَائِعَ .

هُوَ الَّذِي هَدَانَا إِلَى الْحَقِّ وَدَعَانَا إِلى اللهِ وَكُنَّا قَبْلَ قُدُومِهِ بَهَائِمَ لَا نَعْرِفُ اللهَ وَلَا نَعْرِفُ الآخِرَةَ .

هُوَ الَّذِي أَغَاثَنَا أَيَّامَ المجَاعَةِ فَكُنَّا نَأْكُلُ

وَنَشْبَعُ، وَالنَّاسُ يَمُوتُونَ فِي الْبِلَادِ الْأُخْرَى .

إِنَّا لَا نَنْسَى مَلِكَنَا الْكَرِيمَ أَبَداً وَلَا نَنْسَى أَيُّهَا السَّادَةُ أَنَّكُمْ إِخْوَتُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ .

وَكَمْ فَرِحَ بِكُمْ سَيِّدُنَا يَوْمَ قُدُومِكُم إِلى مِصْرَ وَكَمْ فَرِحْنَا بِفَرَحِ سَيِّدِنَا .

فَالْبِلَادُ بِلَادُكُمْ، وَإِنَّا لَكُمْ أَيُّهَا السَّادَةُ كَمَا كُنَّا فِي حَيَاةِ سَيِّدِنَا .

٣ – بنو اسرائيل في مصر

وَهٰكَذَا كَانَ مُدَّةً طَوِيلَة !

فَقَدْ حَفِظَ أَهْلُ مِصْرَ مَا قَالُوا وَعَرَفُوا لِلْكَنْعَانِيِّينَ الْفَضْلَ .

وَكَانَ هٰؤُلَاءِ الْكَنْعَانِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا

يُدْعَوْنَ « بَنِي إِسْرَائِيلَ » أَصْحَابَ شَرَفٍ وَأَمْوَال .

وَلٰكِنْ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ بَعْدَ ذٰلِكَ، فَقَدْ فَسَدَتْ أَخْلاقُهُمْ، وَتَرَكُوا الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ وَدُعَاءَ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ، وَسَقَطوا عَلَى الدُّنْيَا .

وَتَغَيَّرَ لَهُمُ النَّاسُ أَيْضاً وَصَارُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ بِغَيْرِ مَا كانُوا يَنْظُرُونَ إِلى آبَائِهِمْ .

وَصَارُوا كَسَائِرِ النَّاسِ، لَا يَمْتَازُونَ عَنِ النَّاسِ إِلَّا بِالنَّسَبِ .

وَصَارَ النَّاسُ يَحْسُدُونَ الْغَنِيَّ مِنْهُمْ وَيَحْتَقِرُونَ الْفَقِيرَ مِنْهُمْ .

وَصَارَ أَهْلُ مِصْرَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ كَغَرِيبٍ جَاءَ مِنْ بَلَدٍ آخَرَ .

وَلَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي مِصْرَ .

وَكَانَ أَهْلُ مِصْرَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ وَأَنَّ مِصْرَ لِلْمِصْرِيِّينَ .

وَيَرَى بَعْضُ أَهْلِ مِصْرَ أَنَّ يُوسُفَ كَانَ غريباً جَاءَ مِنْ كَنْعَانَ .

وَاشْتَراهُ عَزِيزُ مِصْرَ .

وَلَيْسَ لِلْكَنْعَانِي أَنْ يَحْكُمَ مِصْرَ .

وَنَسِيَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَضْلَ يُوسُفَ وَكَرَمَهُ وَإِحْسَانَهُ .

٤ – فرعون مصر

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ فَرَاعِنَةٌ « مُلُوكُ مِصْرَ » يُبْغِضُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بُغْضاً شَدِيداً .

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ مَلِكٌ جَبَّارٌ جداً. فَكَانَ لَا يَرَى أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَنَّهُمْ مِنْ بَيْتِ يُوسُفَ مَلِكِ مِصْرَ الْكَرِيم .

بَلْ كَانَ لَا يَرَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ يَسْتَحِقُّونَ الرَّحْمَةَ وَالْإِنْصَافَ .

وَجَاءَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ مَلِكٌ جَبَّارٌ جداً. وَكَانَ يَرَى أَنَّ قَوْمَهُ « الْقِبْطَ » مِنْ نَوْعٍ وَأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ .

الْقِبْطُ مِنْ نَوْعِ الْمُلُوكِ خُلِقُوا لِيَحْكُمُوا . وَبَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ نَوْعِ الْعَبِيدِ خُلِقُوا لِيَخْدِمُوا .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يُعَامِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَامَلَةَ

الْحَمِيرِ وَالدَّوَابِّ يَسْتَخْدِمُهَا الإِنْسَانُ وَلَا يُعْطِيهَا إِلاَّ قُوتَ يَوْمِهَا .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ مَلِكاً جَبَّاراً مُتَكَبِّراً لَا يَرَى فَوْقَهُ أَحَداً .

وَكَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ بَلْ كانَ يَقُولُ: « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ » .

وَكَانَ مَغْرُوراً بِمُلْكِهِ وَقُصُورِهِ وَقُوَّتِهِ وَيَقُول: « أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ » .

وَكَأَنَّهُ كانَ خَلِيفَةً لِنَمْرُودَ مَلِكِ بَابِلَ .

وَكانَ يَغْضَبُ إِذَا عَلِمَ أَحَداً يَرَى فَوْقَهُ أَحَداً .

وَدَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَتِهِ وَالسُّجُودِ لَهُ ،

وَأَطَاعَهُ النَّاسُ .

وَامْتَنَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَيُؤْمِنُونَ بِرُسُلِهِ وَاشْتَدَّ غَضَبُ فِرْعَوْنَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ .

٥ - ذبح الأطفال

وَذَهَبَ كَاهِنٌ قِبْطِيٌّ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَالَ لَهُ : « يُولَدُ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَذْهَبُ مُلْكُكَ عَلَى يَدِهِ » .

وَجُنَّ جُنُونُ فِرْعَوْنَ، وَأَمَرَ الشُّرْطَةَ أَنْ يَذْبَحُوا كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ .

وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَرَى أَنَّهُ رَبُّ النَّاسِ يَذْبَحُ مَنْ يَشَاءُ وَيَتْرُكُ مَنْ يَشَاءُ .

كَصَاحِبِ الْغَنَمِ يَذْبَحُ مِنْ غَنَمِهِ مَا يَشَاءُ وَيَتْرُكُ مَا يَشَاءُ .

وَانْتَشَرَتِ الشُّرْطَةُ فِي مِصْرَ يُفَتِّشُونَ وَيَبْحَثُونَ فَإِذَا عَلِمُوا مَوْلُوداً وُلِدَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ كَمَا تُذْبَحُ النَّعْجَةُ .

وَعَاشَتِ الذِّئَابُ فِي الْغَابَةِ وَعَاشَتِ الْحَيَّاتُ وَالْعَقَارِبُ فِي الْبَلَدِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا أَحَدٌ .

وَلٰكِنْ مَا كَانَ لِمَوْلُودٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعِيشَ فِي مَمْلَكَةِ فِرْعَوْنَ .

وَذُبِحَ أُلُوفٌ مِنَ الأَطْفَالِ أَمَامَ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ .

وَكَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْماً عَسِيراً .

وَكَانَ يَوْمَ حُزْنٍ وَبُكَاءٍ .

وَكَانَ الْيَوْمُ الَّذِي يُولَدُ فِيهِ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَ تَعْزِيَةٍ وَرِثَاء .

وَكَانَ يُذْبَحُ مِئَاتٌ مِنَ الْأَطْفَالِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ كَعِيدِ الْأَضْحَى .

يُذْبَحُ فِيهِ مِئَاتٌ مِنَ الْغَنَمِ وَالنِّعَاجِ وَالْبَقَرِ .

« إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » .

٦ – ولادة موسى

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَقَعَ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَخَافُهُ

وَيحذَره .

وُلِدَ ذٰلِكَ الْمَوْلودُ الَّذِي قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَذْهَبَ مُلْكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِهِ .

وُلِدَ ذٰلِكَ الْمَوْلودُ الَّذِي قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَكُونَ خَلَاصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِهِ.

وُلِدَ ذٰلِكَ الْمَوْلودُ الَّذِي قَدَّرَ اللهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ .

وُلِدَ ذٰلِكَ الْمَوْلودُ الَّذِي قَدَّرَ اللهُ أَنْ يُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

وُلِدَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ عَلَى رَغْمِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِه

وَعَاشَ مُوسَىٰ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ عَلَى رَغْمِ الشُّرْطَةِ وَرَقَابَتِهِمْ .

٧ – في النيل

وَلٰكِنْ خَافَتْ أُمُّ مُوسٰى عَلَى مَوْلودِهَا الْجَمِيلِ ، وَكَيْفَ لَا تخَافُ وَعَدُوُّ الْأَطْفَالِ بِمِرْصَادٍ ؟.

وَكَيْفَ لَا تَخافُ وَقَدِ اخْتَطَفَتِ الشُّرْطَةُ عَشَرَاتٍ مِنَ الْأَطْفَالِ مِنْ حِجْرِ الْأُمَّهَاتِ فِي أُسْرَتِها .

مَاذَا تَصْنَعُ الْأُمَّ الْمِسْكِينَةُ، وَأَيْنَ تُخْفِي هٰذَا الْمَوْلودَ الْجَمِيلَ وَالشُّرْطَةُ لَهُمْ عُيُونُ الْغُرابِ وَشَامَّةُ النَّمْلِ .

هُنَالِكَ أَغَاثَ اللهُ الْأُمَّ الْمِسْكِينَةَ وَأَلْهَمَهَا أَنْ تَضَعَهُ فِي صُنْدُوقٍ وَتُلْقِيَه فِي النِّيلِ .

اللهُ أَكْبَرُ ! كَيْفَ تَضَعُ الْأُمُّ الْحَنُونُ طِفْلَهَا

فِي صُنْدُوقٍ وَتُلْقِيهِ فِي النِّيلِ ؟!

مَنْ يُرْضِعُ الطِّفْلَ فِي الصُّنْدُوقِ؟ وَكَيْفَ يَتَنَفَّسُ الطِّفْلُ فِي الصُّنْدُوق ؟!

كُل ذٰلِكَ فَكَّرَتِ الْأُمُّ الْحَنُونُ وَلٰكِنَّهَا تَوَكَّلَتْ عَلَى اللهِ وَاعْتَمَدَتْ عَلَى وَحْيِ اللهِ .

وَلَيْسَ الْبَيْتُ أَحْفَظَ لِلطِّفْلِ مِنَ الصُّنْدُوق !

هُنَا الشُّرْطَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَعَدُوُّ الْأَطْفَالِ بِمِرْصَاد .

وَالشُّرْطَةُ لَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَّةُ النَّمْلِ .

وَفَعَلَتِ الْأُمُّ الْمِسْكِينَةُ مَا أَمَرَهَا اللهُ وَوَضَعَتْ طِفْلَهَا الْجَمِيلَ فِي صُنْدُوقٍ وَأَلْقَتْهُ فِي النِّيلِ .

وَجَزِعَتِ الْأُمُّ الْحَنُونُ ثُمَّ صَبَرَتْ وَتَوَكَّلَتْ

عَلَى اللهِ .

« وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ » .

٨ – في قصر فرعون

كَانَ فِرْعَوْنُ لَهُ قُصُورٌ كَثِيرَةٌ عَلَى شَاطِىءِ النِّيلِ .

وَكَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ قَصْرٍ إِلَىٰ قَصْرٍ وَيَتَنَزَّهُ عَلَى شَاطِىءِ النِّيلِ .

وَكَانَ يَوْماً جَالِساً عَلَىٰ شَاطِىءِ النِّيلِ يَتَنَزَّهُ وَيَرَى إِلَى النَّهْرِ يَجْرِي تَحْتَ رِجْلَيْهِ .

وَكَانَتْ مَعَهُ مَلِكَةُ مِصْرَ تَتَنَزَّهُ مَعَ الْمَلِكِ

وَتَرَى إِلَى النِّيلِ يَجْرِي وَبَيْنَمَا يَتَنَزَّهَانِ إِذْ وَقَعَ بَصَرُهُمَا عَلَىٰ صُنْدُوقٍ تَلْعَبُ بِهِ أَمْوَاجُ النِّيلِ كَأَنَّمَا تُقَبِّلُه .

هَلْ تَرَى يَا سَيِّدِي ذٰلِكَ الصُّنْدُوقَ ؟

أَيْنَ الصُّنْدُوقُ فِي النِّيلِ؟ إِنَّمَا هِيَ خَشَبَةٌ سَقَطَتْ فِي النِّيلِ .

لَا يَا سَيِّدِي إِنَّمَا هُوَ صُنْدُوقٌ !

وَقَرُبَ الصُّنْدُوقُ، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ هٰذَا صُنْدُوقٌ !

وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَحَدَ الْخَدَمِ ، وَقَالَ: إِلَيْكَ هٰذَا الصُّنْدُوقَ !

وَذَهَبَ الْخَادِمُ وَأَخْرَجَ الصُّنْدُوقَ !

وَفُتِحَ الصُّنْدُوق فَإِذَا فِيهِ غُلَامٌ جَمِيلٌ

يَبْتَسِمُ .

وَتَحَيَّرَ النَّاسُ، كُلٌّ يَأْخُذُهُ وَيَرَاهُ .

وَتَحَيَّرَ فِرْعَوْنُ وَرَآهُ .

قَالَ بَعْضُ الْخَدَمِ ، إِنَّ هٰذَا الْغُلَامَ إِسْرَائِيلِيٌّ وَلا بُدَّ لِلْمَلِكِ أَنْ يَذْبَحَهُ .

وَرَأَتْهُ الْمَلِكَةُ، وَدَخَلَ حُبُّهُ فِي قَلْبِهَا فَضَمَّتْهُ إِلَىٰ صَدْرِهَا وَقَبَّلَتْهُ .

وَشَفِعَتْ لَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ وَقَالَتْ: « قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً » .

وَهٰكَذَا دَخَلَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ قَصْرَ فِرْعَوْنَ، وَعَاشَ عَلَىٰ رَغْمِ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتِهِ .

وَلَمْ يَهْتَدِ الشُّرْطَةُ إِلَىٰ هٰذَا الْمَوْلُودِ الإِسْرَائِيلِيِّ،

وَلَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَّةُ النَّمْلِ .

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرَبِّي فِرْعَوْنُ « عَدُوُّ الْأَطْفَالِ » طِفْلاً يَذْهَبُ مُلْكُهُ عَلَىٰ يَدِهِ .

مِسْكِينٌ فِرْعَوْنُ ! لَقَدْ أَخْطَأَ فِي شَأْنِ مُوسَىٰ .

وَقَدْ أَخْطَأَ مَعَهُ وَزِيرُه هَامَانُ وَجُنُودُهُ .

« وَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ » .

٩ – من يرضع الطفل ؟؟

وَكَانَ الطِّفْلُ الْجَدِيدُ وَكَانَ الطِّفْلُ الْجَمِيلُ لُعْبَةَ الْقَصْرِ وَلَهْوَ الدَّارِ .

كُلٌّ يَأْخُذُهُ وَيُقَبِّلُهُ ، وَكُلٌّ يُحِبُّهُ وَيَمْدَحُه ،

لِأَنَّ الْمَلِكَةَ تُحِبُّهُ حُبًّا عَظِيماً .

فَكَيْفَ لَا تُحِبُّهُ سَيِّدَاتُ الْقَصْرِ وَكَيْفَ لَا يُحِبُّهُ خَدَمُ الْقَصْرِ .

وَكُلٌّ يَأْخُذُهُ وَيُقَبِّلُهُ ، لِأَنَّ الطِّفْلَ جَمِيلٌ .

وَطَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعاً تُرْضِعُ الطِّفْلَ ، وَجَاءَتْ وَأَخَذَتِ الطِّفْلَ وَلٰكِنَّ الطِّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَىٰ .

وَطَلَبَتِ الْمَلِكَةُ مُرْضِعاً أُخْرَى ، وَحَضَرَتْ وَأَخَذَتِ الطِّفْلَ ، وَلٰكِنَّ الطِّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَىٰ .

وَثَالِثَةٌ وَرَابِعَةٌ وَخَامِسَةٌ وَلٰكِنَّ الطِّفْلَ يَبْكِي وَيَأْبَىٰ .

عَجَباً ! لماذَا لَا يَرْتَضِعُ الطِّفْلُ ، لِأَيِّ شَيْءٍ يَبْكِي ؟

اجْتَهَدَتِ الْمُرَاضِعُ أَنْ تُرْضِعَ الطِّفْلَ لِتُسُرَّ الْمَلِكَةَ وَتَنَالَ مِنْهَا جَائِزَةً، وَلٰكِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ .

وَأَصْبَحَ الطِّفْلُ حَدِيثَ الْقَصْرِ وَشُغْلَ الدَّارِ .

هَلْ رَأَيْتِ يَا أُخْتِي الطِّفْلَ الْجَدِيدَ ؟

نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُهُ، طِفْلٌ جَمِيلٌ جِداً .

وَلٰكِنَّهُ طِفْلٌ غَرِيبٌ لَيْسَ كَالْأَطْفَالِ ! إِنَّهُ لَا يَرْتَضِعُ .

وَإِذَا أَخَذَتْهُ مُرْضِعٌ يَبْكِي وَيَأْبَى أَنْ يَرْتَضِعَ، مِسْكِينٌ كَيْفَ يَعِيشُ؟ إِنَّهُ يَمُوتُ .

نَعَمْ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ أَيَّامٌ وَلَمْ يَرْتَضِعْ .

١٠ - في حجر أمه

وَقَالَتِ الْأُمُّ الْحَنُونُ لِأُخْتِ مُوسَى :

إِذْهَبِي يَا بِنْتِي وَانْظُرِي أَخَاكِ لَعَلَّهُ حَيٌّ.

إِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي أَنَّهُ يَرُدُّ الطِّفْلَ إِلَيَّ وَأَنَّهُ يَحْفَظُه .

وَذَهَبَتْ أُخْتُ مُوسَى تَبْحَثُ عَنْ أَخِيهَا .

وَسَمِعَتِ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ طِفْلٍ جَمِيلٍ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ .

ذَهَبَتِ السَّيِّدَةُ وَوَقَفَتْ تَسْمَعُ حَدِيثَ النِّسَاءِ فِي الْقَصْرِ .

هَلْ جَاءَتِ الْمُرْضِعُ الَّتِي طَلَبَتْهَا الْمَلِكَةُ مِنْ أَسْوَانَ؟

نَعَمْ يَا سَيِّدَتِي، وَلٰكِنَّ الطِّفْلَ أَبَى أَيْضاً

وَلَمْ يَرْتَضِعْ .

يَا سَلَامُ! مَا شَأْنُ هٰذَا الطِّفْلُ؟ لَعَلَّ هٰذِهِ هِيَ السَّادِسَةُ الَّتِي جَرَّبَتْهَا المَلَكَةُ .

نَعَمْ وَيَقُولُونَ إِنَّهَا مُرْضِعٌ نَظِيفَةٌ جِداً وَكُلٌّ يَرْتَضِعُ مِنْهَا .

سَمِعَتْ أُخْتُ مُوسٰى هٰذَا الْكَلَامَ وَقَالَتْ بِأَدَب وَلُطْفٍ:

أَنَا أَعْرِفُ امْرَأَةً فِي الْبَلَدِ، لَا بُدَّ أَنْ يَرْتَضِعَ مِنْهَا الطِّفْلُ .

قَالَتْ امْرَأَةٌ: أَنَا لا أُصَدِّقُ قَدْ جَرَّبْنَا سِتَّ مَرَاضِعَ وَلٰكِنَّ الطِّفْلَ لَمْ يَرْتَضِعْ .

قَالَتْ أُخْرَى: وَ لِمَاذَا لَا نُجَرِّبُ السَّابعَهَ، مَاذَا عَلَيْنَا ؟

وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلَى الْمَلِكَةِ فَطَلَبَتِ الْجَارِيَةَ وَقَالَتْ:

« إِذْهَبِي وَخُذِي مَعَكِ هٰذِهِ الْمَرْأَةَ » .

وَجَاءَتْ أُمُّ مُوسَى ، وَجَاءَتْ خَادِمَةٌ وَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا مُوسَى.

فَاعْتَنَقَ الطِّفْلُ الْمَرْأَةَ وَأَقْبَلَ يَرْتَضِعُ ، كَأَنَّهُ كَانَ مِنْهَا عَلَى مِيعَادٍ .

وَلِمَاذَا لا يَرْتَضِعُ وَهِيَ أُمُّهُ الْحَنُونُ ؟!

وَلِمَاذَا لا يَرْتَضِعُ وَهُوَ جَائِعٌ مُنْذُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ؟!

وَعَجِبَتِ الْمَلِكَةُ وَعَجِبَ أَهْلُ الْقَصْرِ وَارْتَابَ فِرْعَوْنُ وَقَالَ: لِمَاذَا قَبِلَ هٰذَا الطِّفْلُ هٰذِهِ الْمَرْأَةَ فَهَلْ هِيَ أُمُّهُ ؟

قَالَتْ أُمُّ مُوسىٰ : يَا سَيِّدِي أَنَا امْرَأَةٌ طَيِّبَةُ الرِّيحِ طَيِّبَةُ اللَّبَن كُلُّ طِفْلٍ يَقْبَلُنِي .

وَسَكَتَ فِرْعَوْنُ وَأَجْرَى عَلَيْهَا رِزْقاً .

وَرَجَعَتْ أُمُّ مُوسىٰ إِلى بَيْتِهَا وَفِي حِجْرِهَا مُوسىٰ .

« فَرَدَدْنَاهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لا يَعْلَمُونَ » .

١١ – إلى قصر فرعون !

وَلَمَّا أَتَمَّتْ أُمُّ مُوسىٰ رَضَاعَتَهُ رَدَّتْهُ إِلى الْقَصْرِ .

وَنَشَأَ مُوسىٰ فِي قَصْرِ الْمَلِكِ كَمَا يَنْشَأُ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ .

وَهٰكَذَا زَالَتْ مِنْ قَلْبِ مُوسٰى مَهَابَةُ الْمُلُوكِ وَالْأَغْنِيَاءِ .

وَرَأَى مُوسٰى بِعَيْنَيْهِ كَيْفَ يَنْعَمُ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُهُ .

وَكَيْفَ يَشْقٰى بَنُو إِسْرَائِيلَ لِيَنْعَمَ فِرْعَوْنُ وَأَهْلُهُ .

وَكَيْفَ يَجُوعُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِتَشْبَعَ دَوَابُّ فِرْعَوْنَ .

وَكَيْفَ يُعَامِلُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعَامَلَةَ الْحَمِيرِ وَالدَّوَابِّ .

وَكَيْفَ يَسْتَخْدِمُونَهُمْ وَيَسُومُونَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ

وَكَانَ مُوسٰى يَرَى ذٰلِكَ صَبَاحَ مَسَاءَ وَيَسْكُتُ .

وَلٰكِنْ كَانَ مُوسٰى يَغِيظُهُ ذٰلِكَ .
وَكَيْفَ لا يَغِيظُهُ إِهَانَةُ قَوْمِهِ وَأُسْرَتِهِ .
وَهُمْ أَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ. وَهُمْ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ .
وَمَا ذَنْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،أَلِأَنَّهُمْ لَيْسُوا أَقْبَاطاً ؟!
أَلِأَنَّهُمْ مِنْ كَنْعَانَ ؟ !
هٰذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ! هٰذَا لَيْسَ بِذَنْبٍ !

١٢ – الضربة القاضية

وَلَمَّا كَانَ مُوسٰى شَابًّا قَوِياً آتَاهُ اللهُ حُكْماً وَعِلْماً .

وَكَانَ مُوسٰى يُبْغِضُ الظَّالِمِينَ وَيَكْرَهُهُمْ، وَيُحِبُّ الضُّعَفَاءَ وَالْمَظْلُومِينَ وَيَنْصُرُهُمْ وَكَذٰلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ .

وَدَخَلَ مُوسَىٰ مَدِينَةَ فِرْعَوْنَ مَرَّةً وَالنَّاسُ فِي لَهْوٍ وَشُغُلٍ .

وَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هٰذَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهٰذَا مِنَ الْأَقْبَاطِ. أَعْدَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ .

فَصَرَخَ الإِسْرَائِيلِيُّ وَنَادَى مُوسَىٰ لِنَصْرِهِ وَشَكَى الْقِبْطِيَّ .

وَغَضِبَ مُوسى فَضَرَبَ الْقِبْطِيَّ، فَكَانَتِ الْقَاضِيَةَ .

وَمَاتَ الْقِبْطِيُّ وَنَدِمَ مُوسَىٰ جِدًّا وَعَرَفَ أَنَّ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ .

فَتَابَ مُوسَىٰ إِلَى اللهِ وَأَنَابَ وَكَذٰلِكَ كُلُّ نَبِيٍّ .

« قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ

مُضِلٌّ مُبِينٌ » .

وَتَابَ اللهُ عَلَى مُوسَىٰ، لِأَنَّ مُوسَىٰ لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَقْتُلَ الْقِبْطِيَّ، بَلْ ضَرَبَهُ وَلٰكِنَّهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ .

وَحَمِدَ اللهَ مُوسَىٰ وَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَغَفَرَ لِي « فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ » .

وَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ وَيَحْذَرُ مَتَى تَجِيئُهُ شُرْطَةُ فِرْعَوْنَ وَلَهُم عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَّةُ النَّمْلِ .

وَأَصْبَحَ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ مَتَىٰ تَجِيئُهُ الشُّرْطَةُ وَيَأْخُذُونَهُ إِلَى الْجَبَّارِ .

وَرَأَى الشُّرْطَةُ قَتِيلاً قِبْطِياً مِنْ خَدَمِ فِرْعَوْنَ فَفَتَّشُوا عَنِ الْقَاتِلِ وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَيْهِ .

وَمَنْ يَدُلُّهُمْ عَلَى الْقَاتِلِ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مُوسَىٰ وَالْإِسْرَائِيلِيُّ ؟!

وَأَصْبَحَ الْقَتِيلُ حَدِيثَ الْبَلَدِ وَشُغْلَ الْمَدِينَةِ، كُلٌّ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ وَلا يَعْلَمُ قَاتِلَهُ .

وَغَضِبَ فِرْعَوْنُ وَقَالَ لِلشُّرْطَةِ: لا بُدَّ أَنْ تُفَتِّشُوا عَنِ الْقَاتِلِ .

١٣ – يظهر السر

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي يَرَى مُوسَىٰ ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ فِي قِتَالٍ وَخِصَامٍ مَعَ قِبْطِيٍّ آخَرَ .

وَمَا اسْتَحَى الْإِسْرَائِيلِيُّ بَلْ صَرَخَ وَنَادَىٰ مُوسَىٰ لِنُصْرَتِهِ .

قَالَ مُوسَىٰ إِنَّكَ رَجُلٌ وَقِحٌ، أَلَا تَزَالُ فِي

قِتَالٍ وَجِدَالٍ مَعَ النَّاسِ وَلا تَزَالُ تَصْرُخُ وَتُنَادِينِي .

أَلا أَزَالُ أَنْصُرُكَ وَأُسَاعِدُكَ « إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ » .

وَلٰكِنْ أَرَادَ مُوسٰى أَنْ يُؤَدِّبَ الْقِبْطِيَّ قَلِيلاً وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمَا .

وَرَأَى الإِسْرَائِيلِيُّ غَضَبَ مُوسٰى وَسَمِعَ مَلامَه .

وَخَافَ أَنْ يَضْرِبَهُ مُوسٰى فَتَكُونَ الْقَاضِيَةَ ، كَمَا ضَرَبَ الْقِبْطِيَّ فَكَانَتِ الْقَاضِيَةَ .

« فَقَالَ يَا مُوسٰى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ »

هُنَالِكَ عَرَفَ الْقِبْطِيُّ أَنَّ مُوسٰى هُوَ

قَاتِلُ أَمْسِ .

وَذَهَبَ الْقِبْطِيُّ وَأَخْبَرَ الشُّرْطَةَ بِأَنَّ مُوسَىٰ هُوَ الْقَاتِلُ .

وَوَصَلَ الْخَبَرُ إِلى فِرْعَوْنَ فَغَضِبَ وَقَالَ : أَذٰلِكَ الْفَتَىٰ رَبِيبُ الْقَصْرِ وَرَضِيعُ الْمُلْكِ ؟

وَلٰكِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يَنْجُوَ مُوسَىٰ مِنْ شَرِّ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتِهِ .

إِنَّ مُوسَىٰ لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَقْتُلَ الْقِبْطِيَّ بَلْ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً كَانَتِ الْقَاضِيَةَ .

وَلٰكِنَّ فِرْعَوْنَ وَشُرْطَتَه لا يُسَلِّمُونَ ذٰلِكَ وَلا يَقْبَلُونَ لِمُوسَىٰ عُذْراً .

إِنَّ اللهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يَذْهَبَ مُلْكُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدِ مُوسَىٰ ، إِنَّ اللهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ

خَلَاصُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِ مُوسَىٰ .

إِنَّ اللهَ قَدْ قَدَّرَ أَنْ يُخرِجَ مُوسَىٰ النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ .

وَكَيْفَ يَكُونُ ذٰلِكَ إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُ الشُّرْطَةِ الظَّالِمِينَ .

وَكَانَ رِجَالُ فِرْعَوْنَ وَوُزَرَاؤُهُ يَتَشَاوَرُونَ وَيَعْزِمُونَ عَلَى قَتْلِ مُوسَىٰ .

وَكَانَ رَجُلٌ يَسْمَعُ كُلَّ ذٰلِكَ وَيَعْرِفُه فَجَاءَ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ وَقَالَ: « أُخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ » .

« فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

١٤ — من مصر إلى مدين

وَلٰكِنْ إِلىٰ أَيْنَ يَذْهَبُ مُوسٰى، وَمِصْرُ كُلُّهُ مَمْلَكَةٌ لِفِرْعَوْنَ ؟!

وَشُرْطَةُ فِرْعَوْنَ بِالْمِرْصَادِ، وَلَهُمْ عُيُونُ الْغُرَابِ وَشَامَّةُ النَّمْلِ !

أَلْهَمَ اللهُ مُوسٰى أَنْ يَذْهَبَ إِلىٰ مَدْيَنَ الْبَلَدِ الْعَرَبِي، حَيْثُ لا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُ فِرْعَوْنَ .

إِنَّ مَدْيَنَ بَادِيَةٌ وَقُرًى لَيْسَ فِيهَا مَدَنِيَّةُ مِصْرَ.

وَلَيْسَ فِيهَا قُصُورُ مِصْرَ وَأَسْوَاقُ مِصْرَ .

وَلٰكِنَّهَا بِلادٌ سَعِيدَةٌ لأَنَّهَا بَعِيدَةٌ مِنْ فِرْعَوْنَ

وَإِنَّهَا سَعِيدَةٌ لأَنَّهَا بِلادٌ حُرَّةٌ لَيْسَتْ تَحْتَ حُكْمِ فِرْعَوْنَ .

يَا حَبَّذَا الْبَدَاوَةُ مَعَ الْحُرِّيَةِ وَالْعَدْلِ .
وَيَا شَقَاوَةَ الْمَدَنِيَّةِ مَعَ الْعُبُودِيَّةِ وَالذُّلِّ .
هُنَالِكَ يُصْبِحُ كلُّ أَحَدٍ لا يَخَافُ سَطْوَةَ فِرْعَوْنَ وَقَهْرَه .
وَهُنَالِكَ يَبِيتُ كُلُّ أَحَدٍ لا يَخَافُ شُرْطَةَ فِرْعَوْنَ وَشَرَّهُ هُنَالِكَ لا تُذْبَحُ الْأَبْنَاءُ .

قَصَدَ مُوسَى مَدْيَنَ . وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ أَيَتْبَعُهُ أَحَدٌ وَلٰكِنْ نَامَ عَنْهُ الشُّرْطَةُ .

خَرَجَ مُوسَى عَلَى اسْمِ اللهِ يَدْعُو اللهَ وَيَطْلُبُ مِنْهُ النَّصْرَ .

« وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ » .

في مدين

وَصَلَ مُوسى إلى مَدْيَنَ، لا يَعْرِفُ أَحَداً وَلا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ .

فَمَنْ يَأْوِي إِلَيْهِ في اللَّيْلِ ؟ وَأَيْنَ يَبِيتُ ؟

تَحَيَّرَ مُوسى وَلٰكِنَّهُ أَيْقَنَ أَنَّ اللهَ لا يُضِيعُهُ !

وَكَانَ هُنَالِكَ بِئْرٌ يَسْقِي عَلَيْهَا النَّاسُ غَنَمَهُمْ وَمَاشِيَتَهُمْ .

وَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ غَنَمَهُمَا وَتَنْتَظِرَانِ أَنْ يَسْتَقِيَ النَّاسُ فَتَسْقِيَا .

رَأَى مُوسٰى ذٰلِكَ وَفِي قَلْبِهِ حَنَانُ الْكَرِيمِ وَشَفَقَةُ الْأَبِ الرَّحِيمِ .

فَقَالَ: لِمَاذَا لا تَسْقِيَانِ ؟

قَالَتَا: لا يُمْكِنُ لَنَا أَنْ نَسْتَقِيَ غَنَمَنَا حَتَّى

يَسْقِيَ النَّاسُ، لأَنَّهُمْ أَقْوِيَاءُ. وَنَحْنُ ضُعَفَاءُ، وَلأَنَّهُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ إِنَاثٌ .

وَكَأَنَّمَا عَرَفَتَا أَنَّ مُوسَىٰ سَيَسْأَلُهُمَا: فَلِمَاذَا لا يَسْقِي أَحَدٌ مِنْ رِجَالِ بَيْتِكُنَّ ؟

فَسَبَقَتَا وَقَالَتَا: «وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» .

وَهَاجَ فِي مُوسَىٰ حَنَانُ الْكَرِيمِ وَسَقَىٰ لَهُمَا وَذَهَبَتَا .

وَأَيْنَ يَذْهَبُ مُوسَىٰ الآنَ ؟!

وَإِلى أَيْنَ يَأْوِي فِي اللَّيْلِ وَأَيْنَ يَبِيتُ ؟!

إِنَّهُ لا يَعْرِفُ أَحَداً وَلا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ !

«ثُمَّ تَوَلَّى إِلى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» .

١٦ — الطلب

وَوَصَلَتِ الْجَارِيَتَانِ إِلى الْبَيْتِ قَبْلَ الْمِيعَادِ فَتَعَجَّبَ أَبُوهُمَا وَسَأَلَهُمَا عَنِ السَّبَبِ .

وَقَالَ لَهُمَا : مَا أَعْجَلَكُمَا يَا بِنْتَيَّ ، وَكَيْفَ وَصَلْتُمَا الْيَوْمَ قَبْلَ الْمِيعَادِ ؟

قَالَتِ السَّيِّدَتَانِ : قَدْ قَدَّرَ اللهُ لَنَا رَجُلاً كَرِيماً سَقَى لَنَا .

تَعَجَّبَ الشَّيْخُ وَعَرَفَ أَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ لأَنَّ أَحَداً لَمْ يَرْحَمْهُنَّ يَوْماً .

قَالَ الشَّيْخُ : وَأَيْنَ تَرَكْتُمَا الرَّجُلَ ؟

قَالَتَا : تَرَكْنَاهُ فِي مَكَانِهِ ، رَجُلٌ غَرِيبٌ لَيْسَ لَهُ مَأْوىً !

قَالَ الشَّيْخُ : مَا أَحْسَنْتُمَا يَا بِنْتَيَّ ، رَجُلٌ

غَرِيبٌ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَلَيْسَ لَهُ مَأْوًى في الْبَلَدِ .

إلى مَنْ يَأْوِي في اللَّيْلِ ، وَأَيْنَ يَبِيتُ ؟!

إِنَّ لَهُ عَلَيْنَا حَقَّ الضِّيافَةِ، وَإِنَّ لَهُ عَلَيْنَا حَقَّ الْإِحْسَانِ !

لِتَذْهَبْ إِحْدَاكُمَا وَتَأْخُذْهُ مَعَهَا .

« وَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا » .

وَعَرَفَ مُوسَىٰ أَنَّ اللهَ قَدْ أَجَابَ دُعَاءَهُ وَبَوَّأَ لَهُ ، فَمَا أَبَى .

وَخَرَجَ مُوسَىٰ أَمَامَهَا لِئَلاَّ يَقَعَ نَظَرُهُ عَلَيْهَا، وَمَشَى مُوسَىٰ مَشْيَ الْكِرَامِ .

وَلَمَّا وَصَلَ إلى الشَّيْخِ سَأَلَهُ عَن اسْمِهِ وَوَطَنِهِ وَخبَرِه .

وَأَخْبَرَ مُوسَىٰ خبَرَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّته .

سَمِعَ الشَّيْخُ كُلَّ ذٰلِكَ بِصَبْرٍ وَهُدُوءٍ، وَلَمَّا انْتَهىٰ مُوسَىٰ مِنْ قِصَّتِهِ .

« قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

١٧ — الزواج

وَأَقَامَ مُوسَىٰ عِنْدَهُمْ مَقَامَ ضَيْفٍ كَرِيمٍ، بَلْ حَلَّ مِنْهُمْ مَحَلَّ الْوَلَدِ الْعَزِيزِ .

وَقَالَتْ سَيِّدَةٌ لِوَالِدِهَا يَوْماً في بَسَاطَةٍ وَطَهَارَةٍ .

« يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ » .

قَالَ الشَّيْخُ: وَمَا عِلْمُكِ بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ يَا بِنْتِي ؟

قَالَتْ: أَمَّا قُوَّتُهُ فَلأَنَّهُ رَفَعَ الْغِطَاءَ عَنِ الْبِئْرِ وَحْدَهُ، وَلا يَرْفَعُهُ إِلاَّ جَمَاعَةٌ .

وَأَمَّا أَمَانَتُهُ يَا أَبَتِ فَلأَنَّهُ مَشَى أَمَامِي لا يَنْظُرُ إِلَيَّ طُول الطَّرِيق .

وَلا بُدَّ لِلأَجِيرِ وَلا بُدَّ لِلْخَادِمِ أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا أَمِيناً .

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَوِيًّا ضَعَفَ عَنِ الْعَمَلِ .

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِيناً لَمْ تَنْفَعْنَا قُوَّتُهُ مَعَ خِيَانَتِهِ .

وَوَافَقَ كَلامُ السَّيِّدَةِ هَوًى فِي قَلْبِ الشَّيْخِ وَلٰكِنَّهُ فَكَّرَ فِي الْمَسْأَلَةِ كَوَالِدٍ .

وَفَكَّرَ فِي الْمَسْأَلَةِ كَشَيْخٍ عَاقِلٍ .

قَالَ الشَّيْخُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا يَكُونَ أَحَقَّ مِنْ هٰذَا الْفَتَى بِأَنْ يَكُونَ صِهْراً لِي .

وَأَيْنَ أَجِدُ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِنْ هٰذَا الشَّابِّ ؟!

أَمَّا فِي مَدْيَنَ فَلَمْ أَجِدْ أَحَداً أَهْلاً لِذٰلِكَ !

وَلَعَلَّ اللهَ قَدْ سَاقَ إِلَيَّ هٰذَا الْفَتَى لِيَكُونَ لِي صِهْراً وَوَزِيراً .

فَقَالَ فِي وَقَارٍ وَشَفَقَةٍ وَحِكْمَةٍ:

« إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ » .

وَهٰذَا هُوَ صِدَاقُكَ، أَمَّا هٰذِهِ السَّنَوَاتُ الثَّمَانِيُ فَلا بُدَّ مِنْهَا .

فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

خَافَ الشَّيْخُ أَنْ يَذْهَبَ الشَّابُّ بِبِنْتِهِ وَيَبْقَى وَحِيداً .

وَرَأَى الشَّيْخُ أَنْ يُجَرِّبَ الشَّابَّ أَيْضاً حَتَّى إِذَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَدَّعَهُ .

وَافَقَ مُوسٰى عَلَى ذَلِكَ وَرَأَى أَنَّ هٰذَا مِنَ اللهِ وَأَنَّ اللهَ سَيُبَارِكُ فِي ذَلِكَ .

إِنَّ اللهَ قَدْ سَاقَهُ إِلى مَدْيَنَ وَأَرْسَلَهُ إِلى الشَّيْخِ وَأَلْقَى فِي قَلْبِهِ حَنَاناً وَحُبًّا .

فَقَالَ: « ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ » .
وَلٰكِنْ أَرَادَ مُوسٰى – بِحِكْمَتِهِ وَعَقْلِهِ – أَنْ يَحْفَظَ لَهُ حَقَّ الْخِيَارِ لَعَلَّهُ يَسْأَمُ فَقَالَ :
« أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ » .

إلى مصر

« وَلَمَّا قَضَى مُوسٰى الْأَجَلَ سَارَ بِأَهْلِهِ » وَوَدَّعَ الشَّيْخَ وَوَدَّعَهُ الشَّيْخُ وَدَعَا لَهُ :
عَلَى بَرَكَةِ اللهِ يَا وَلَدِي ! فِي أَمَانِ اللهِ يَا بِنْتِي !
وَسَافَرَ مُوسٰى بِأَهْلِهِ، وَاللَّيْلُ كُلُّهُ بَرْدٌ وَظَلامٌ .

وَلٰكِنْ أَيْنَ النّارُ في الصَّحْرَاءِ ؟

وَمَاذَا يَصْنَعَانِ إِذَا لَمْ يَجِدَا نَاراً يَصْطَلِيَانِ بِهَا، وَلَمْ يَجِدَا نُوراً يَهْتَدِيَانِ بِهِ ؟!

وَبَيْنَمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَمُوسَىٰ يَبْحَثُ عَنْ نَار «إِذْ رَأَىٰ نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى» .

وَسَارَ مُوسَىٰ قِبَلَ النَّارِ عَلَى جَنَاحِ الشَّوْقِ.

«فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى» .

هُنَالِكَ كَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ .

«وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ

إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلٰوةَ

لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ » .

وَكَانَ فِي يَدِ مُوسَىٰ عَصاً كَانَ يَحْمِلُهَا وَيَسْتَعِينُ بِهَا .

فَقَالَ اللهُ تَعَالىٰ:

« وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ » .

وَأَجَابَ مُوسَىٰ فِي بَسَاطَةٍ وَسَذَاجَةٍ .

« هِيَ عَصَايَ » .

وَأَخَذَ مُوسَىٰ يَعُدُّ فَوَائِدَ هٰذِهِ الْعَصَا فِي تَفْصِيلٍ لأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَ اللهَ وَيَكُونَ حَدِيثُه طَوِيلاً .

« هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى »

« قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ » .

« فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى » .

« قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى » .

وَمُنِحَ مُوسَىٰ آيَةً ثَانِيَةً، هِيَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فَقَالَ :

« وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى » .

١٩ — اذهب الى فرعون إنه طغى

وَأَمَرَ اللهُ مُوسَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ كُلِّهِ أَنْ يَشْرَعَ عَمَلَهُ الَّذِي خَلَقَهُ لِأَجْلِهِ .

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، إِنَّ فِرْعَوْنَ

أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ .

إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ كَفَرُوا بِاللهِ ، إِنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَفْسَدُوا فِي أَرْضِ اللهِ .

إِنَّ اللهَ لا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ .

فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَذْهَبَ مُوسَى إِلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَسِقِينَ» .

لٰكِنْ كَيْفَ يَذْهَبُ مُوسَى إِلى فِرْعَوْنَ وَكَيْفَ يُوَاجِهُ الْجَبَّارَ .

وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْقِبْطِيَّ بِالْأَمْسِ وَمَا أَمْسِ بِبَعِيد !

وَهُوَ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مِصْرَ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ ، وَيَعْرِفُهُ الشُّرْطَةُ وَيَعْرِفُهُ أَهْلُ الْقَصْرِ .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ » .

وَذَكَرَ مُوسَىٰ أَنَّ فِي لِسَانِهِ حُبْسَةً .

وَلٰكِنَّ اللهَ كَانَ يَعْرِفُ ذٰلِكَ كُلَّهُ وَيُرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ مُوسَىٰ رَغْمَ ذٰلِكَ كُلِّهِ .

« وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّٰلِمِينَ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ » .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هٰرُونَ » .

« وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ » .

« قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيٰتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ » .

« فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعٰلَمِينَ » .

« أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

وَأَوْصَى اللهُ مُوسٰى وَهَارُونَ بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ مَعَ فِرْعَوْنَ .

إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ مَعَ أَعْدَائِهِ إِلى حَدٍّ فَقَالَ :

« فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشٰى » .

٢٠ — أمام فرعون

وَجَاءَ مُوسٰى وَهَارُونُ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَقَامَا فِي مَجْلِسِهِ يَدْعُوَانِهِ إِلى اللهِ .

وَغَضِبَ الْجَبَّارُ مِنْ جَرَاءَةِ مُوسٰى وَقَالَ فِي عُلُوٍّ وَكِبْرٍ :

مَنْ تَكُونُ أَيُّهَا الشَّابُّ حَتَّى تَقُومَ فِي مَجْلِسِي وَتَعِظَنِي . أَلَسْتَ ذٰلِكَ الْغُـلَامَ الَّذِي الْتَقَطْنَاهُ مِنَ الْبَحْرِ ؟!

« أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ » .

« وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ » .

وَلَمْ يَغْضَبْ مُوسٰى وَلَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ يَجْحَدْ وَلَمْ يَعْتَذِرْ بَلْ أَجَابَ فِي صَرَاحَةٍ وَوَقَارٍ .

« قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ » .

وَقَالَ مُوسَى: إِنَّكَ يَا فِرْعَوْنُ تَمُنُّ عَلَيَّ بِالتَّرْبِيَةِ وَلكِنْ لا تَنْظُرُ لِمَاذَا وَقَعْتُ بِيَدِكَ وَكَيْفَ أَمْكَنَكَ أَنْ تُرَبِّيَنِي ؟.

إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَأْمُرْ بِقَتْلِ الْأَطْفَالِ لَمَا أَلْقَتْنِي أُمِّي فِي النِّيلِ وَمَا وَقَعْتُ بِيَدِكَ .

وَهَلْ هٰذِهِ نِعْمَةٌ تُعَدُّ وَتُذْكَرُ فِي جَنْبِ ظُلْمِكَ وَقَسَاوَتِكَ ؟

إِنَّكَ عَامَلْتَ قَوْمِي كُلَّهُمْ مُعَامَلَةَ الْحَمِيرِ وَالدَّوَابِّ .

وَكُنْتَ تَزْجُرُهُمْ زَجْرَ الْكِلَابِ .

وَكُنْتَ تَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ .

فَأَيُّ فَضْلٍ لَكَ إِذَا كَفَلْتَ طِفْلاً مِنْهُمْ ؟!

وَذٰلِكَ أَيْضاً عَنْ جَهْلٍ وَخَطَإٍ !

«وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» .

٢١ — الدعوة إلى الله

وَعَجزَ فِرْعَوْنُ وَلَمْ يَجِدْ جَوَاباً، فَأَرَادَ أَنْ يَتَخَلَّصَ فَقَالَ:

«وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» الَّذِي أَسْمَعُكَ تَذْكُرُهُ ؟

«قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» .

غَضِبَ فِرْعَوْنُ مِنْ هٰذَا الْجَوَابِ وَأَرَادَ أَنْ يَغْضَبَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ وَيَتَعَجَّبُوا .

«فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: أَلَا تَسْتَمِعُونَ» ؟

وَلَمْ يَقْطَعْ مُوسٰى الْكَلامَ بَلْ ضَرَبَ فِرْعَوْنَ ضَرْبَةً ثَانِيَةً .

« قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُم الْأَوَّلِينَ »

وَاشْتَدَّ غَضَبُ فِرْعَوْنَ وَلَمْ يَصْبِرْ وَقَالَ: « إِنَّ رَسُولَكُم الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ » .

وَلَمْ يَقْطَعْ مُوسٰى الْكَلامَ وَضَرَبَ فِرْعَوْنَ ضَرْبَةً ثَالِثَةً .

« قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ » .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَشْغَلَ مُوسٰى عَنْ هٰذَا الْمَوْضُوعِ الْمُرِّ .

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُثِيرَ غَضَبَ مَلَئِه .

فَقَالَ: « وَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولٰى ؟! »

قَالَ فِرْعَوْنُ فِي نَفْسِهِ: إِذَا قَالَ مُوسَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ.

قُلْتُ: فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ!

وَإِذَا قَالَ مُوسَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ.

غَضِبَ أَهْلُ الْمَجْلِسِ وَقَالُوا إِنَّ مُوسَىٰ سَبَّ آبَاءَنَا.

وَلٰكِنَّ مُوسَىٰ كَانَ أَعْقَلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَكَانَ مُوسَىٰ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، فَقَالَ:

«عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى».

ثُمَّ أَنْشَأَ مُوسَىٰ يَقُولُ مَا كَانَ فِرْعَوْنُ يَفِرُّ مِنْهُ وَيَتَخَلَّصُ:

« لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً » .

وَتَحَيَّرَ فِرْعَوْنُ وَبُهِتَ وَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَقَالَ مَا تَقُولُهُ الْمُلُوكُ كُلُّهُمْ إِذَا عَجَزُوا وَغَضِبُوا .

« قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ » .

معجزات موسى

وَلَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ سَهْمَهُ، أَرَادَ مُوسٰى أَنْ يَرْمِيَهُ بِسَهْمِ اللهِ .

« قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ؟! »

« قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ »
« فَأَلْقَى مُوسٰى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ » .
« وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ »
وَوَجَدَ فِرْعَوْنُ مَقَالاً يَقُولُهُ لِجُلَسَائِهِ .
« قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ » .
وَوَافَقَ أَهْلُ المَجْلِسِ « قَالُوا إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ » .
« قَالَ مُوسٰى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هٰذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُون » .

وَرَمٰى فِرْعَوْنُ مُوسٰى بِسَهْمٍ آخَرَ فَقَالَ :
« قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا

نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِين ».

وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُخَوِّفَ الْمَلَأَ مِنْ مُوسى فِعْلَ الْمُلُوكِ.

فَقَالَ: « يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ».

أَشَارَ الْمَلأُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَجْمَعَ السَّحَرَةَ مِنْ مَمْلَكَتِهِ وَيَرْمِيَ بِهِمْ مُوسَى.

وَهٰكَذَا كَانَ: نُودِيَ فِي مَمْلَكَةِ مِصْرَ « أَلَا مَنْ كَانَ يَعْرِفُ السِّحْرَ فَلْيَحْضُرْ إِلَى الْمَلِكِ ».

وَاجْتَمَعَ السَّحَرَةُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْمَمْلَكَةِ.

وَكَانَ يَوْمُ الزِّينَةِ هُوَ الْمِيعَادَ.

«وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ، لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ» ؟

٢٣ — إلى الميدان

وَتَرَى النَّاسَ يَخْرُجُونَ مِنْ بُيُوتِهِمْ ضُحًى! وَيَمْشُونَ إِلَى الْمَيْدَانِ أَفْوَاجاً .

وَيَمْشُونَ إِلى الْمَيدَانِ أَطْفَالاً ، وَشُبَّاناً وَشُيُوخاً ، وَرِجَالاً وَنِسَاءً .

وَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ إِلاَّ مَرِيضٌ أَوْ عَاجِزٌ .

وَلا تَسْمَعُ فِي الْمَطَرِيَّةِ[1] إِلاَّ حَدِيثَ السِّحْرِ وَأَسْمَاءَ السَّحَرَةِ .

(١) قصبة مصر أيام الفراعنة .